المحاضرة الثانية عشرة

إيفانز بريتشارد و فيكتور تيرنر

ويعد الاستاذ إيفانز بريتشارد (Evans-Pritchard)، أستاذ الأنثروبولوجيا الاجتماعية في أكسفورد من عام ١٩٤٦ حتى عام ١٩٧٠ ، خبيرًا في الإثنوغرافيا اكثر من كونه عالِم إثنولوجي متنقل. عمل لوقت طويل في العديد من المجتمعات الأفريقية، ولا سيما الأزاندي، وقدم الصيغة الكلاسيكية لكيفية عمل السحر، إلى جانب الروحانيين والسحرة، كأدوات لشرح المخفي او المجهول. وأن ما تم شرحه أمرا بالغ الأهمية. اذ اوضح فيما يدركه الأزاندي من أن النمل الأبيض يتسبب في سقوط صوامع الحبوب (المخازن)، وان ما يجب شرحه هو سبب سقوط مخزن الحبوب في لحظة معينة على شخص معين، مما يتسبب في الإصابة أو الوفاة. ركز عمل بريتشارد على التأثير النفسي المشهور والمعروف باسم نظرية العزو[١](attribution theory) . اذ وثّق إيفانز بريتشارد نزعات الأزانديين إلى تبرير مختلف أنواع الأحداث السيئة بالسحر، وتعتبر حادثة مقتل ثمانية أشخاص من شعب الأزاندي جراء انهيار أحد الأبنية بفعل غزو النمل الأبيض لإطار الباب، واحدة من أهم الأمثلة على ذلك. كما يعمل السحر، وبالتالي جميع أنظمة المعرفة الطبية، على شرح كيف ولماذا يمرض شخص ما. واضاف أن السحر بمثابة مفهوم ثيودسي (theodicy)، اي الدفاع عن عدالة الله، وانه طريق لشرح سبب حدوث المصيبة والمعاناة الرهيبة في هذا العالم ولماذا لا يعاني الأشخاص الطيبون أقل من الاشخاص السيئين في التعرض للمصائب[٢].

---

[١] نظرية تختص بالطرق التي يفسر فيها الناس سلوك الآخرين أو أنفسهم مع شيء آخر.

[2] Evans-Pritchard, E. E. 1937. *Witchcraft, Oracles and Magic among the Azande.* Oxford: Oxford University Press.

دفع إيفانز بريتشارد الباحثين لإدراكات مماثلة بأن المرض وسوء الحظ يستدعيان البحث عن الأسباب الكامنة والجهود المبذولة للشفاء، ومثال ذلك اعمال الاستاذ فيكتور تيرنر[1] (Victor Turner) عن شعب (نديمبو Ndembu) في الشمال العربي من زامبيا وطقوس الشفاء التي يمارسها، تحت عنوان "طقوس او طبول البلاء (rites or drums of affliction)، اذ افاد (تيرنر) بأنه "يجب النظر إلى المرض بين (نديمبو) ليس فقط من منظور خاص أو أديولوجي ولكن أيضًا في إطار بنائي عام أو اجتماعي". وطقوس البلاء هي دراما اجتماعية تهدف إلى توضيح الصراعات الاجتماعية الأساسية وحلها من خلال أفعال طقسية لها آثارها في المستوى الاجتماعي. في حين أن هذه الطقوس مرتبطة بالأطر التفسيرية، فهي أشكال من العمل الرمزي، مضمنة في أشكال رمزية معقدة، تم تحليلها بثراء ملحوظ، كما هو الحال بالوصف الاتي لعملية جمع العلاج وتصنيعه للمرأة التي تعاني من اوجاع الإنجاب والولادة: قالت المعالجة إن "المريضة" يجب أن تبقى في قريتها ويجب عليها مراعاة جميع المحظورات، الى ان يذهب (الأطباء والطبيبات) إلى الأدغال لجمع الأدوية وعادة ما يكون قبل وقت غروب الشمس. يكون التوجه أولاً إلى الشجرة الاكبر من بين الاشجار الاخرى التي يستخرج منها الدواء واسمها الموكولا (mukula) بتطويق الشجرة، ومخاطبة الممارس الرئيس شجرة المكولا بالقول: "تعالي يا مكولا، ان المريضة (إيشيكينو) من النساء اللواتي ترغب بالولادة ومن أجل تربية الأولاد" فامنحينا قوة الإنجاب". ثم يتجه العمل نحو حفر الجذور وأخذ الأوراق ووضعها في السلة المخصصة، بعد ذلك الذهاب إلى شجرة اخرى هي موسولي (musoli)، وحفر جذرها، وأخذ بعض الأوراق وهكذا مع الأشجار الاخرى، يتم جمع كل هذه الادغال الدوائية (الجذور والاوراق) بصحبة الأغاني. وبعد الرجوع إلى القرية، يتم تطويق كوخ المريض ثم وضع الادغال في كوخ المريض. وبعد

[1] فيكتور وايتر تيرنر (١٩٢٠–١٩٨٣) أنثروبولوجي بريطاني اشتهر بأعماله عن الرموز والطقوس وطقوس المرور. غالبًا ما توصف اعماله، جنبًا إلى جنب مع أعمال كليفورد غيرتز وآخرين ، في مجال الأنثروبولوجيا الرمزية والتفسيرية (التأويلية).

غروب الشمس مباشرة، يدخل الطبيب الرئيسي والأخصائيون الآخرون والمباشرة بتقطيع الجذور المجمعة يرافقها الغناء على صوت الطبول. ثم إحضار وعاء كبير وتوضع فيه قطع الجذور والأوراق. والاحتفاظ ببعضها ليتم غسلها على جسم المريض. اضافة الى ذلك إحضار قدر طهي صغير وإضافة قطع من كل نوع من الجذور في الماء البارد. ووضع هذا بالقرب من نار خاصة على بعد خطوات قليلة من باب كوخ المريض. او وضع معظم الأوراق وبعض الجذور في الهاون ويضاف بعض الماء البارد. تقوم النساء بزيادة القرع والغناء. يجلس المريض بجانب الهاون. بعد فترة، يضع الطبيب يده في الهاون ويعطي المريض القليل من المسحوق الدوائي ليشربه. ويسكب البعض على رأسها ويغسل صدرها وكتفيها لتترك بعض الأوراق المقشرة مرئية على جسدها ويجب على المريضة أولاً تركها تجف دون ان تغسل نفسها، ثم يعطيها الطبيب إناءً صغيرًا يحتوي على مسحوق الدواء الجذري مأخوذ من الوعاء الكبير وإعطاؤها للمريضة ممزوجًا بالماء الدافئ من قدر الطهي الصغير. ثم تُقرع الطبول بناءً على تعليمات الطبيب. يجب أن تكون المريضة دافئة حتى تجف أجزاء من الأوراق الملتصقة بجسمها، "بعد فترة، تبدأ المريضة بالارتعاش التي تعد المرة الأولى. والثانية اثناء الرقص. والمرة الثالثة عندما يعطي الطبيب المرأة حبة الإلمبي الحمراء ووضعها على رأسها. في تلك المرة الثالثة يجب أن ترقص منتصبة وهي تجلس على حصيرة وساقيها أمامها. إنها ترتجف لأن العراف او الطبيب قد أمسك بها. إنها تحرك رقبتها بحركة مستديرة الى ان تنتهي طقوس العلاج[1].

[1] Turner, Victor. 1967. The Drums of Affliction: A Study of Religious Processes Among the Ndembu of Zambia, Routledge; 1st edition.